الاربعون حديثاً وشروحها العربية

بقلم الدكتور عبد القادر قره خان
استاذ الادب التركي المدير في كلية الآداب بجامعة استنبول

في الادب الاسلامي ضرب من الادب الديني التعليمي معروف باسم « الاحاديث الاربعون » له مكانة مرموقة جداً لاسباب شتّى .

فلو تُدّر لنا التوفيق لنشر جميع تفاصيله التي بلغت درجة النضوج بعد تمحيص مئات المؤلفات من عربية وفارسية وتركية تعالج هذا الباب لكان في استطاعتنا تبيان الثروة الدينية وما لها من تأثير اجتماعي واخلاقي وسياسي وادبي في حقل ما برح حتى الان مجهولاً ولم يكتشف .

وفي مقالنا هذا سنقصر كلامنا على بيان موجز اعمالنا التي تدور حول اشهر هذه الاحاديث واهمها واعني بذلك كتاب العلامة محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي الفقيه الإسلامي الشهير (٦٣١—٦٧٦ / ١٢٣٣—١٢٧٧) وهو مجموعة أحاديث واضحة ووجيزة من شأنها هداية الناس الى طريق الكمال بالايمان والأفعال والاخلاق .

وجاء في المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس ان الاربعين حديثاً كان الفراغ من كتابتها في ليلة ٢٢ كانون الثاني ١٢٧٠ [1] .

ومما يجدر النظر اليه هو ان هذه الاحاديث قد تناولها الشراح بعد انتشارها بأقل من ثلاثين عاماً بتعليقاتهم عليها التي بلغت باللغة العربية وحدها خمسين شرحاً في غضون خمسة قرون [2] ونصف القرن وذلك بالنسبة الى ما كان لها من اهمية وشهرة.

وهذه المجموعة من الاحاديث التي لها عدة ترجمات وشروح بالفارسية [3]

---

١) قال مؤلفه رحمه الله فرغت منه ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وستمائة من الهجرة النبوية .
(Bib. Nationale, manuscrits arabes N° 744 fol. 16 b.).

٢) Cf. table chronologique des commentateurs de Nawawī, à la fin de l'article.

٣) Voir entre autres : سراج الطالبين ومنهاج العابدين في شرح احاديث الاربعين d'Abū ʿAbd Allah Muhammad al-Idjī (Bib. Nat. Mss. persans N° 35) مجمع البيان de Fasīh b. ʿAbd al-Kerim Nizāmī (Turk-Islam Eserleri Müzesi N° 1684. Bib. de Fatih N° 783).

والتركية[1] يعتبرها المستشرقون كأثرة فريدة في بابها[2] وقد ترجمت[3] وعلق[4] عليها باللغات الغربية .

ويخال الينا اننا نحسن صنعاً في تناولنا هذه القضية بالبحث :

فهل كان النووي هو اول جامع لها ؟ وهي بالحقيقة اثنان واربعون حديثاً قيل فيها انها «جوامع الكلم الأحمدية» ام ان غيره قد جمعها برمتها قبله او جمع قسماً منها فقط ؟

ولقد حفزنا للاقدام على هذه الدراسة الاستاذ لويس ماسينيون .

اجل ان المقارنات التي اقيمت على اساس «الاربعين» لابن ودعان بين بعض الكتب القديمة والاحاديث التي اختارها النووي لم تسفر عن نتيجة مرضيّة فلولا الفقرة التفسيرية في مقدمة كتاب «جامع العلوم والحكم في شرح اربعين حديثاً من جوامع الكلم[5]» لابن رجب البغدادي شارح النووي الكبير [زين الدين عبد الرحمن بن احمد المتوفى ٧٩٥/١٣٩٣] لما حصلنا على بعض المعلومات حول منشأ هذه القضية .

وقال النووي في مقدمته ان بعض العلماء قد جمعوا « أربعين » تتناول موضوعات شتى ولما تبينت ذلك رأيت من المناسب ان اجمع بنفسي اربعين حديثاً اهمّ منها مكتفياً بان يذكر بشأن المصادر التي اخذ عنها ما يلي : « وقد رأيت جمع اربعين اهمّ من هذا كله وهي اربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام عليه او هو نصف الاسلام او ثلثه او نحو ذلك . ثم التزم في هذه الاربعين ان

(١ Voir entre autres : شرح الاربعون حديث d'Ismâ'îl Hakkî Bursali. Istbl. 1287, 1313, 1317 ; Kirk Hadis d'Ahmed Na'im, Ist : 1343.

(٢ Cf. D'Herbelot, *Bibliothèque Orientale du Dictonnaire Universel*. Paris 1781, I. 372 ; Goldziher, *Le Dogme et la loi de l'Islam*. (tr. Félix Arin), Paris 1920, pp. 15, 37 et ss., 252.

(٣ En-Nawawi, *Les Quarante Hadiths* (Tr. G. Bousquet) Alger 1947.

(٤ Dossiers du Centre Religieux d'Etudes Arabes (C. R. E. A.) Bikfaia, Liban. Commentaires de Nawawi, depuis la fin de 1949 (avec texte arabe, transcription et comm.).

(٥ Bib. Millet - Hekimoğlu, N° 197 (En réalité 50 hadis au lieu de 40, le commentateur ayant ajouté huit autres à ceux recueillis par Nawawi).

تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم" » .

ولقد عرض ابن رجب هذه المسألة بوضوح اذ وقف هذا الشارح في مقدمته عند الفقرة التي اعلن فيها النبي عليه السلام بقوله : « فُضلتُ على مَن قبلي بستٍ ولا فخر » . ومن ثم تعدّى الى ذكر واحد من أمور تفضيله بالستة وقال: « اعطيت جوامع الكلم » وبعد ان اشار الى معنى (جوامع الكلام) في القرآن والسنة :

— « وقد جمع العلماء جموعاً من كلماته صلى الله عليه وسلم الجامعة فصنف الحافظ ابو بكر السني كتاباً سماه الايجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة، وجمع القاضي ابو عبدالله القضاعي من جوامع الكلم الوجيزة جزءاً سماه الشهاب في الحكم والآداب وصنّف على منواله قوم آخرون فزادوا على ما ذكره زيادة كثيرة واشار الخطابي في اول كتابه غريب الحديث الى يسير من الاحاديث الجامعة واملى الامام الحافظ ابو عمرو بن الصلاح مجلساً سماه الاحاديث العلية جمع فيه الاحاديث الجوامع التي يقال ان مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً ثم ان الفقيه الزاهد القدوة ابا زكريا يحيى النووي رحمة الله عليه اخذ هذه الاحاديث التي املاها ابن الصلاح وزاد عليها تمام اثنين واربعين حديثاً وسمّى كتابه بالاربعين التي جمعها وكثر حفظها ونفع الله بها ببركة نيّة جامعها وحسن قصده رحمه الله وقد تكرر سؤال جماعة من طلبة العلم والدين لتعليق شرح لهذه الاحاديث المشار اليه[٢]».

والظاهر كل الظهور ان ثمة علماء قد جمعوا قبل النووي مجموعات من اقوال النبي الجامعة الوجيزة منها : الايجاز لابي بكر السني والشهاب لابي عبدالله القضاعي « محمد بن سلامة المتوفى ٤٥٤/١٠٦٢» والاحاديث لابي عمرو بن الصلاح (تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧—٦٤٣/١١٨١—١٢٤٥) .

ويؤخذ من هذه الاقوال صراحة ان الاحاديث الاربعين المشار اليها مصدرها الاساسي هو أبو عمرو الذي ذكرناه .

(١) Nawawi, *Introduction*. *La traduction française de* Bousquet contient une table montrant, selon les indications même de ces quarante hadiths, les œuvres auxquelles ils sont empruntés (p. 48).

(٢) *Introduction*, fol. 2a et b.

واذا لم نغفل ان هذا الفقيه الشافعي الكبير الذي اصله من شهرزور والذي كان متضلعاً كل التضلع بالتفسير والسنة والادب قد تولى امر التدريس بدمشق والقدس وكان النووي يعيش في عصره بدمشق واتيح له ان يزور القدس فلا غرابة اذا رأينا هذا الاخير من اصحاب ابي عمرو ان لم يكن بالفعل فعلى الاقل قد انتمى اليه ادبياً.

وبهذا نستنبط سبب ترجيح النووي أحاديث ابن الصلاح الجامعة الوجيزة الستة والعشرين من رسالة « الأحاديث العلية » وإضافته لها ستة عشر حديثاً حتى بلغت اثنين وأربعين حديثاً وأطلق عليها (اربعون حديثاً) . وعلى كل ان الصعوبة التي تعترضنا فتقوم على ان نعرف ما هي الاحاديث التي جمعها ابن الصلاح من هذه الاربعين والاحاديث التي جمعها النووي ؟

ومهما يكن من امر فاننا لا نقوى على البتّ في هذه القضية إلى ان نحصل على نسخة من « الاحاديث العليّة » وعلى كل فان الاعتبارات التالية لا بدّ لها من ان تكون حتماً بحسب هذا التساوق الفكري :

١ — ان النووي قد استمدّ شيئاً كبيرًا من غيره في كتابه وان لم يشر الى ذلك في مقدمته .

٢ — ان النووي مدين بشهرته الى كونه قد جمع احاديث كان يعتبرها العلماء من قبله بمدة طويلة بمثابة « اقوال جامعة وجيزة يستند اليها الدين» .

٣ — أن النووي قد عرف الوتر الحساس في هذه المسألة فأدمج في احاديثه الاربعين الاقوال الجامعة الوجيزة التي كانت كثيرة الرواج ويتداولها الناس منذ القرن الثاني للهجرة وكانوا لا يزالون شديدي الاهتمام لها في عصره .

اجل لقد احرز النووي هذه الشهرة التي لا سبيل لانكارها بسبب كتابه الذي شرح منذ سبعة قرون ولم يفقد شيئاً من قيمته على مر الذريات المتعاقبة التي قرأته وحفظته عن ظاهر قلب .

ولئن قلنا ما قلناه فلا مندوحة لنا عن الملاحظة ان النووي قد ذكر في مقدمته لمؤلفه الاربعين حديثاً عندما تكلم على عدد الكتب الكبيرة في هذا الموضوع اسم ثلاثة عشر مؤلفاً بحسب ترتيبه الخاص به :

١ — عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١ — ٧٩٧)

٢ — عمر بن اسلم الطوسي (المتوفى ٢٤٣ — ٨٥٦)

٣ – حسن بن سفيان النسوي	(المتوفى ٣٠٣ – ٩١٦)
٤ – ابو بكر الآجري	(المتوفى ٣٣٠ – ٩٤٢)
٥ – ابو بكر محمد بن ابراهيم الاصفهاني	(المتوفى ٤٦٦ – ١٠٧٤)
٦ – الدارقطني	(المتوفى ٣٨٥ – ٩٩٥)
٧ – حاكم ابو عبد الله	(المتوفى ٤٠٥ – ١٠١٥)
٨ – ابو نُعيم	(المتوفى ٤٣٠ – ١٠٣٩)
٩ – ابو عبد الرحمن السلمي	(المتوفى ٤٢٢ – ١٠٣١)
١٠ – ابو سعيد الماليني	(المتوفى ٤١٢ – ١٠٢١)
١١ – ابو عثمان الصابوني	(المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩)
١٢ – عبد الله بن محمد الانصاري	(المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩)
١٣ – ابو بكر البيهقي	(المتوفى ٤٥٨ – ١٠٦٦)

فهل كان النووي هو الذي ذكر هؤلاء المؤلفين وصنفهم بهذا الترتيب او انه استمد هذا الفهرست من غيره ؟

ان الامر المهم في مثل هذا المقام يستوجب منا ايضاحات اوفى .

وفي اعتقادنا ان النووي قد اخذ ما عدا اسماء الدارقطني والصابوني والانصاري اسماء العشرة الباقين عن ابي طاهر السلفي (المتوفى ١١٨٠/٥٧٦) .

ولقد ذكر السلفي في مقدمة كتابه (الاربعون البلدانية[1] *Bouldaniye*) الفهرست ذاته للاسماء العشرة الذين دونوا الاحاديث الاربعين قبله .

ويؤخذ من البحوث التي قمنا بها ان عدد الاحاديث الاربعين المدوّنة الى عهد النووي كان يبلغ عددها اربعة وخمسين كتاباً .

والذي يرجح لدينا الافتراض ان النووي استمد معارفه من السلفي إذ ذكر ثلاثة عشر مؤلفاً اورد منها السلفي قبله أسماء عشرة رجال منهم .

ولئن انتشرت الاحاديث الاربعون النووية وحفظت بسهولة فلكونها كانت تشتمل على امور عرفيّة وحذف منها كثيرٌ من الاسناد من جهة ، ومن جهة أخرى لكونها احتوت قواعد الدين الاساسية ومجموعة الصلوات فحرص على معرفتها الذين ارادوا ان يؤمنوا لانفسهم الحياة الثانية .

فالحديث القائل مثلاً : انما الاعمال بالنيّات[2] الذي هو في البخاري وفي

(١) Bib. Nat. Mss. arabes, N° 722.

(٢) Nawawi, 1er hadith.

عدد الاربعين هو الحديث الاول ، ويعدّ من جملة اسمى المبادئ في الاسلام ويشتمل على قسم كبير من تعاليمه. والحديث القائل: « بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان[1] يبين بوضوح الاسس التي بنى عليها الاسلام .

اما الحديثان «ان الحلال بين وان الحرام بين[2]» و«الدين النصيحة[3]» فبالاستطاعة اعتبارهما بحق كركني الشريعة الاسلامية ، والحديثان «لا يؤمن احدكم حتى يحبّ لاخيه ما يحبُّ لنفسه[4] » و « البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس[5] » يختصران ايضاً المبادئ الاسلامية الصحيحة .

ولقد فضل الكثيرون من بين شراح النووي الذين ادركوا اهمية مجموعته ورغبوا بان يضعوا اربعين حديثاً ويشرحوها ان يكتفوا بالقيام بتفسير الاربعين النووية بعد ان بحثوا طويلاً متذرعين في سبيل تبرير تفضيلهم هذا بذرائع شبيهة بالاسباب التي اشرنا اليها .

وقال الشارح تاج الدين ابو حفص عمر بن علي الاسكندري (المتوفى٧٣١/ ١٣٣٠ في شرحه « المنهاج المبين في شرح الاربعين »[6] انه عرف من جماعة من العلماء ان الاسلام يستند الى اربعة احاديث :

« فانه قد صحّ عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث: حديث الاعمال بالنيات، وحديث الحلال بين، والحرام بين ، وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ، وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه[7] » .

وذكر الاسكندري وسعدالدين التفتازاني (٧٢٢–٧٩٢/١٣٢٢–١٣٩٠) نظم الشيخ ابي الحسن الظاهر – الذي اكتفى التفتازاني بان يطلق عليه نسبة الشافعي :

(١ Nawawi, 3e hadith.
(٢ Nawawi, 6e hadith.
(٣ Nawawi, 7e hadith.
(٤ Nawawi, 13e hadith.
(٥ Nawawi, 27e hadith.
(٦ Bib. de Bayazit No 906.
(٧ Fol. 2a.

« عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البريّة
اتق الشبهات وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعمل بنية »

وهذه الاحاديث الاربعة هي في كتاب النووي بالارقام التالية ٣١،١٢،٦٧١

واذا اعتبرنا ان بقية اقوال النبي التي جمعها النووي هي حقاً هدًى للمسلمين في الايمان والاعمال والحياة الاخلاقية ادركنا بسهولة مرمى مؤلفه وقيمته والسبب الذي كانت له من اجله الشروح العديدة لا في العربية فحسب بل بالفارسية والتركية وعرفنا مدى تأثيره في العالم الاسلامي .

ومما يجعل من هذه المجموعة كتاباً يمثل الفكر الاسلامي وقواعده الاخلاقية هو ما له من قيمة اجتماعية عالية ليتميز بها خاصة عن الاحاديث الاخرى التي تتناول موضوعات شتيتة .

وان الاحاديث الاربعين التي اختارها النووي قد شرحت مرات عديدة شرحاً خليقاً بما لها من شهرة واهمية .

ولقد اتبع النووي نفسه بباب[1] في ضبط « ما خفي من معانيها » اوضحه في مقدمته[2] فكان بذلك الشارح الاول لكتابه .

ولقد تمكنا من ان نبيّن من عهد ابي العباس الاشبيلي (المتوفى ٦٩٩/١٢٩٩) الى عبدالله البراوي (المتوفى ١٢٥٥/١٨٣٩) اسماء تسعة واربعين مؤلفاً دوّنوا شرح النووي ، وسنذكر فيما يلي بحسب تاريخ العصور فهرست اسماء المعروفين وتاريخ وفاتهم وهم من جملة الواحد والاربعين شارحاً :

فهرست اسماء شراح النووي من القرن الثالث عشر (السابع الهجري)

النووي نفسه (٦٣١ – ٦٧٦ / ١٢٣٣ – ١٢٧٦)
ابو العباس الاشبيلي – – (المتوفى ٦٩٩ – ١٢٩٩)

القرن الرابع عشر (الثامن الهجري)

ابن دقيق العيد (المتوفى ٧٠٢–١٣٠٢)
نجم الدين سليمان (المتوفى ٧٢١–١٣٢١)

(١) Ce chapitre est généralement négligé dans les commentaires.
(٢) Vers la fin de l'introduction.

احمد بن عبد الوهاب	(المتوفى ٧٣٣-١٣٣٣)
تاج الدين ابو حفص	(المتوفى ٧٣١-١٣٣٠)
محمد بن احمد المسعودي	(المكتوب ٧٨٨-١٣٨٦)
زين الدين صاريجا	(المتوفى ٧٨٨-١٣٨٦)
سعد الدين التفتازاني	(٧٢٢-٧٩٢ / ١٣٢٢-١٣٩٠)
ابن رجب البغدادي	(المتوفى ٧٩٥-١٣٩٣)

القرن الخامس عشر (التاسع الهجري)

السهروردي ابو عبدالله	(المتوفى ٨٠٣-١٤٠١)
جمال الدين يوسف	(المتوفى ٨٠٤-١٤٠٢)
سراج الدين عمر	(المتوفى ٨٠٤-١٤٠٢)
ظهير الدين السمرقندي	(المكتوب ٨١٢ - ١٤٠٩)
عز الدين بن جماعة	(المتوفى ٨١٩-١٤١٦)
خجندي Hucandi ابراهيم	(المتوفى ٨٥١-١٤٤٧)
ابو حفص البلبيسي	(المتوفى ٨٥٥-١٤٥١)
صلاح الدين محمد	(المتوفى ٨٥٦-١٤٥٢)
بدر الدين الجيلاني	(المتوفى ٨٨٩-١٤٨٩)

القرن السادس عشر (العاشر الهجري)

معين الدين بن صفي الدين	(المتوفى ٩٠٥-١٥٠٠)
الحجازي محمد بن العز	(المكتوب ٩١٢-١٥٠٦)
زكريا الانصاري	(المتوفى ٩٢٦-١٥٢٠)
ابن كمال باشا	(المتوفى ٩٤٠-١٥٣٤)
دالمي محمد	(المتوفى ٩٤٤-١٥٤٠)
الحيتمي شهاب الدين	(المتوفى ٩٧٣-١٥٦٦)
القشي احمد بن الحجازي	(المتوفى ٩٧٨-١٥٧٠)
اللاري مصلح الدين	(المتوفى ٩٧١-١٥٧١)

القرن السابع عشر (الحادي عشر الهجري)

علي القاري	(المتوفى ١٠١٤-١٦٠٦)
الشبرخيتي ابراهيم	(المتوفى ١٠١٦-١٦٠٧)
الشبشيري ولي الدين	(المتوفى ١٠١٩-١٦١٠)
المناوي عبد الرؤوف	(المتوفى ١٠٣١-١٦٢١)

محمد بن احمد المطيب (المتوفى ١٠٨٩–١٦٧٨)
بازنجي اسماعيل بن عبد الباقي (المكتوب ١١١٠–١٦٩٩)

القرن الثامن عشر (القرن الثاني عشر الهجري)

السندي محمد بن الخياط (المتوفى ١١٦٣–١٧٥٠)
سيد بن علي المدايني (المتوفى ١١٧٠–١٧٥٦)
الحسني احمد بن محمد (المتوفى ١١٧٨–١٧٦٤)
ابن سودة البناني (المتوفى ١١٩٤–١٧٨٠)
المضيري خليل (المتوفى ١٠٨٦–١٧٨٢)
وجيه الدين بن مجيب الله (المكتوب ١٢١٢–١٧٩٧)
محمد بن احمد (المتوفى ١٢١٣–١٧٩٨)

القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري)

النبراوي عبد الله (المتوفى ١٢٥٥–١٨٣٩)

ولا يخلو من الفائدة ان توضح العصور بخطوط بيانية :

كيفية توزيع الشراح بحسب العصور التي عاشوا فيها

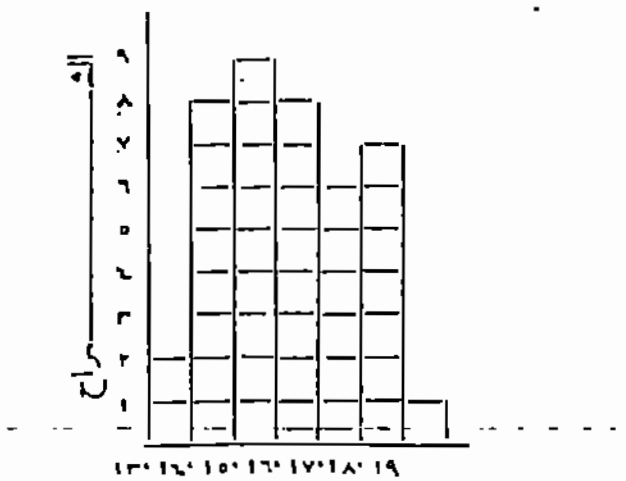

العصور

وهناك اسماء الشراح الذين عاشوا في عصور لم يكن باستطاعتنا تعيينها :

١ – عبد المجيد الشرنوبي
٢ – علاء الدين علي بن محمد
٣ – هاشم الشرقاوي

٤ – مسعود بن منصور بن الامير سيف الدين
٥ – محمد بن احمد الختني
٦ – الصفوي احمد بن موسى
٧ – الشعبري عبد الهادي
٨ – الشيرازي شهاب احمد بن محمد

وغالب الاحتمال ان يكون عدد شراح النووي اكثر مما ذكرنا ومن النظر في فهرست اسماء الذين شرحوا النووي يتضح لنا ان معظم اولئك الرجال كانوا من رجال العلم الديني ومنهم من كان يعتبره العلماء المسلمون الاتراك كثقات كابن دقيق العيد وسعد الدين التفتازاني وابن رجب البغدادي وابن كمال باشا وابن حجر الهيتمي ومصلح الدين اللاري وعلي القاري وعبد الرؤوف المناوي مثلاً . ولقد ذيلت تلك الكتب بهوامش شرحية كالتي علقها محمد بن احمد الخطيب وحواشي المدابغي على كتاب الهيتمي وكهامشي الخضيري والنبراوي على الشبشيري .

ولو اخذنا بعين الاعتبار اعادة طبع الفشني ست مرات[1] وشرحي الشبرخيتي[2] والتفتازاني[3] ثلاث مرات وطبع شروح كتب الباقين مرتين ولو عرفنا ان عدد مخطوطات الاربعين حديثاً يبلغ مئات النسخ في مكتبات استنبول وحدها لزال كل ريب لدينا فيما كان لتلك المجموعات من قيمة ولما احدثته من أثر في الشعب والعلماء وفي ذلك الاسلوب الذي سدّ قروناً متطاولة الحاجات الدينية والاجتماعية والأخلاقية لدى الشعوب الاسلامية .

(١) Le Caire 1278, 1299, 1303, 1306, 1310 et 1311.
(٢) Le Caire 1307, 1316 et dernièrement.
(٣) Istanbul 1316, 1323 et le Caire.